فحصل ههنا الحوي وهو معلوم وانما قدم الاستدلال باحوال الحيوان على احوال
النبات لان الحيوان اشرف ولان عجايب الاحوال في الحيوان اكثر وكان اولى بالتقديم
فان قال قائل لم لا يجوز ان يكون ابدان الحيوان واجرام النبات بسبب الطبيعة
لا بسبب الله على المختار قلنا الدليل عليه هو ان جسم النطفة جسم متشابه الاجزاء
متشابهة الطبيعة وتاثير طبيعة الرحم تاثير متشابه والجسم المتشابه اذا اثر
فيه موثرات كثيرة في جملة ذلك الجسم تاثيرا متشابها استحال ان يتولد منه
احوال مختلفة الا ترى انه اذا وضع الشمع فكما يضيء خمسة اذرع من احدى الجوانب
وجب ان يضيء ساير الجوانب بهذا المقدار فاما ان لا يضيء من احدى الجوانب
خمسة اذرع ولا يضيء من جانب اخر الا نصف ذراع من غير حائل ولا مانع فذلك
غير معقول فثبت ان الموثرات الطبيعية يكون تاثيرها تاثيرات متشابهة
فلما رأينا انه تولدت من بعض اجزاء تلك النطفة المتشابهة العظام ومن اجزاء
اخر اللحوم ومن اجزاء اخر الاعصاب والعروق والرباطات علمنا ان ذلك التاثير
ليس تاثير موثر بالطبع والايجاب بل تاثير موثر بالقدرة والاختيار المطلب الثاني
من هذه السورة بعد من النبوات اعلم ان هذا المطلب انما يتم بامور ثلثة
اولها صفة النبي صلى الله عليه واله وسلم في ذاته وجوهره الثاني كيفية
اشتغاله بتكميل الناقصين والثالث اختلاف احوال الخلق في قبول ذلك
الكمال منه اما المطلب الاول وهو شرح صفة النبي صم وكيفية جوهر روحه
في علومه واخلاقه فاعلم انه ثبت في العلوم الاصلية ان النفس البشرية لها
تعلقان احدهما القوة النظرية وهي القوة التي باعتبارها يقدر على استفادة المعارف
العقلية من عالم الغيب والثاني القوة العملية وهي القوة التي باعتبارها تقدر
على التصرف في هذا البدن بواسطته في اجسام هذا العالم على الوجه الاصلح
الاصلح ولما ثبت بالبراهين ان القوة النظرية اشرف من العملية لا جرم وجب تقديمها والمعنى
في الذكر واليه الاشارة بقوله تع سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه سبحانه يقوي
روحه وعقله بحيث يصير نفسا قدسية مشرقة بالعلوم الحقيقية والمعارف
الالهية بحيث اذا عرف شيئا فانه لا ينساه هذا ما فهمنا من قوله سنقرئك فلا تنسى
واما قوله الا ما شاء الله فالفايدة فيه ان جوهر النفس الانسانية لا ينفك ربما
عن طبيعة نابالقوة مطلقا فلا جرم لا ينفك عن السهو والنسيان في بعض الاوقات

واما قوله

واما قوله لنفسه يعلم الجهر وما يخفى فالمراد انه تعالى لو علم ان جعل جوهر نفسه
عالما بالمعلومات مطلعا عليها محيطا بها والموثر في كل جمال وكمال اذا قوي من
في البعض فلولا كونه تعالى عالما بالمعلومات كلها والا لما قدر على جعله روح النبي
صلى الله عليه واله وسلم عالما بها مبرا عن السهو والنسيان والغلط فيها واما الا
الى تكميل النبي ص في القوة العملية فهو المراد من قوله تعالى ونيسرك لليسرى وذلك
لان كل الناس كلهم مشتركون في اصل القدرة على القبيح والحسن والفجور والعفة
الا ان فيهم من يكون العفة عليه اسهل وطبعه اليه اميل ومنهم من يكون
الفجور عليه اسهل وطبعه اليه اميل فتلك السهولة عبارة عن الصفة المسماة
بالخلق فمن كان سعيدا طاهرا انما هو كانت نفسه موصوفة بخلق العفة و
الطهارة ومن كان شقيا كان بالضد من ذلك فقوله ونيسرك لليسرى اشارة
الى هذه الحالة وعند هذه الاية تم وصف النبي صلى الله عليه واله وسلم
بالكمال في القوة النظرية اولا ثم في القوة العملية ثانيا والله تعالى اعلم المطلب
الثاني من السورة الاشتغال بدعوة الخلق الى طريق الحق وذلك لان من كان في
قوتيه النظرية والعملية كاملا ان كان لا يقوى على تكميل غيره فهو الولي
وان كان يقوى عليه فهو النبي ص ولا شك ان هذا المقام اكمل لان الكامل
المطلق هو الذي يكون تاما وفوق التمام فلما حصل تمامه بسبب كمال قوته
النظرية والعملية وجب ان يصير فوق التمام بسبب افاضة الكمالات على الناقصين
وذلك هو دعوة الخلق الى التوجه الى الحق فلهذا قال بعد الاية المتقدمة فذكر
ان نفعت الذكرى فقوله فذكر امر له بدعوة الخلق الى الحق ثم بين ان هذا لا
ينفع في حق الكل لان النفوس الناقصة منها ما يقبل التاديب والتهذيب
ومنها ما لا يقبل والتي يقبل فمراتب القبول فيها مختلفة بالقوة والضعف و
والسرعة والبطوء والكثرة والقلة ولهذا قال ان نفعت الذكرى ثم انه سبحانه لما
لما ذكر هذا المعنى على سبيل الاجمال اردفه بالمفصل في الاية المذكورة
بعد ذلك والمقصود منه بيان احوال الخلق في كيفية قبول تلك الدعوة وهو المطلب
الثالث من النبوة وذلك لان الخلق عند سماع هذه الدعوة ينقسمون الى قسمين منهم
من ينتفع به وهو المراد بقوله تع سيذكر من يخشى فانهم ينتفعون بدعوة الانبياء
ويقبلونها ويستكمل نفوسهم بها وهذا هذا القبول انما يكون من الخوف والخشية

Copyright © King Saud University